بلاد الشام من جزيرة العرب

بلادُ العرب جزيرةٌ، لا شبْه جزيرة:

قلتُ: بلاد العرب جزيرة يحيط الماءُ بجهاتها الأربع، وهو الاسم الذي وضعه العربُ لبلادهم، وهم يعلمون حقيقة المضمون الجغرافي لهذا الاسم.

وجاءَت أقدم الشواهد في الحديث النبوي الصحيح؛ فقد بوّب البخاري في الصحيح باب: «إخراج اليهود من جزيرة العرب»، وروى عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أمرهم في مرض وفاته بثلاث، ومنها: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، وانظر: كتاب: الجهاد، باب: «هل يستشفع إلى أهل الذمة؟».

وفي الحديث: «إن الشيطان يئس أن يُعبد في جزيرة العرب».

وفي حديث آخر: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان».

وألّف الحسن بن أحمد الهمداني، المتوفى سنة (334هـ)، كتاب: «صفة جزيرة العرب»، وسوف ننقل عنه ما يؤيد أن بلاد العرب «جزيرة».

وفي «معجم البلدان» لياقوت الحموي، ترجم في حرف الجيم لاسم «جزيرة العرب».

حدود جزيرة العرب:

ونعرف منها الأقاليم التي تشملها جزيرة العرب.

وننقل هنا أقوال العلماء العرب في تفسير اسم «جزيرة العرب».

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «سميت جزيرة العرب؛ لأن بحر فارس، وبحر الحبشة، والفرات ودجلة أحاطت بها».

وسوف يأتي ما يُفهم منه أن الفرات يحيط بأرض الجزيرة العربية من جهة الشمال، حيث يبدأ منبعه من تركيا.

وقال الأصمعي: «جزيرة العرب ما بين أقصى عَدَن أَبْيَن إلى ريف العراق طولاً، ومن جُدَّة وما والاها إلى أطراف الشام عرضاً، وسميت جزيرة العرب؛ لإحاطة البحار بها. وأضيفت إلى العرب؛ لأنها كانت بأيديهم قبل الإسلام، وبها

أوطانهم ومنازلهم . . لكن الذي يُمنع المشركون من سكناه منها الحجاز خاصة ، وهو مكة والمدينة ، واليمامة وما والاها ، لا فيما سوى ذلك مما يُطلق عليه اسم جزيرة العرب ؛ لاتفاق الجميع على أن اليمن لا يمنعون منها ، مع أنها من جملة جزيرة العرب» . . [فتح الباري ج6/ 171] .

• وجاء في «لسان العرب» لابن منظور : الجزْر : ضد المدّ ، وهو رجوع الماء إلى خلف . والجزيرة : أرض ينجزر عنها «المدّ» . وهي أرض في البحر ، ينفرج عنها ماء البحر ، فتبدو ، وكذلك الأرض التي لا يعلوها السيل ، ويحدق بها ، فهي جزيرة .

و«جزيرة العرب» ما بين عَدَن أَبْيَنَ إلى أطوار الشام . وقيل : إلى أقصى اليمن في الطول ، وأما في العرض ، فمن جُدَّة وما والاها من شاطئ البحر ، إلى ريف العراق .

وقيل : ما بين حفر أبي موسى (حفْر الباطن - في السعودية) إلى أقصى تهامة في الطول . وأما العرض ، فما بين رمْل يبْرين إلى منقطع السماوة ، وكل هذا الموضع ، إنما سميت بذلك ؛ لأن بحر فارس ، وبحر الحبش ، ودجلة والفرات قد أحاط بها .

وفي قول آخر : جزيرة العرب : محالُّها ، سميت جزيرة ؛ لأن البحرين : بحر فارس ، وبحر السودان أحاطا بناحيتيها ، وأحاط بجانب الشمال دجلة والفرات ، وهي أرض العرب ومعدنها .

• وقال الهمْداني في كتاب «صفة جزيرة العرب» : جنوبيها اليمن ، وشماليها الشام[1] ، وغربيها شَرْم أيْلة[2] وما طرته من السواحل إلى القُلزم[3] وفسطاط

---

(1) قوله : «شماليها الشام» ، يعني : أن الشام داخلة في جزيرة العرب ، وليست حدّاً من حدودها المجاورة ؛ لأنه قال قبلها : «جنوبيها اليمن» : ومن المتفق عليه أن «اليمن» من الجزيرة العربية .

(2) شرم أيلة : فسّر بعضهم كلمة «شرم» أنه «خليج أيلة» ، ولكن إضافته إلى «أيلة» يُوحي أن المراد «خليج أيلة» ؛ فقد جاء في لسان العرب : «وشرم من البحر : خليج منه» . وأما «أيلة» فهو «العقبة» اليوم ، واسم «العقبة» مولّد ، وُضع في القرون الإسلامية المتأخرة ، وهي اليوم بلدة في الأردن تطل على الخليج . وفي السيرة النبويّة جاء بلفظ «أيلة» ، واستعمله اليهود بلفظ «إيلات» ، وهو لفظ عربيّ عتيق ، جمع «إلهة» ، أو يكون معدولاً عن جملة «إلهي أتى» ، وأول من استعمل لفظ «إيلات» أو «أيلة» الأنباط العرب .

(3) القُلْزم : كانت مدينة على ساحل البحر الأحمر من أرض مصر ، وبها سمي بحر القُلزم : البحر الأحمر .

مصر[1]، وشرقيها عُمان والبحرين[2]، وكاظمة[3]، والبصرة، وموسطها الحجاز فأرض نجْد، والعروض، وتسمى جزيرة العرب؛ لأن اللسان العربي في كلها شائع، وإن تفاضل. [ص3].

ويذكر الهمداني الحسابات الفلكية لبعض أماكن الجزيرة، فيذكر «بيت المقدس» والرملة من فلسطين، وسلمية وبعلبك وقيساريّة، وصيدا، والأنبار، وبغداد، وحمص، وعانة، وصور، وسامراء، ومنبج، وحلب، وأذنة، وأنطاكية[4]، وقنّسرين... [انظر: ص4].

وفي (ص6) قال: ذكر خصائص جزيرة العرب، فقال الهمداني: «وبها الوادي المقدس طوى، وطور سيناء، ومسجد إيلياء (المسجد الأقصى بالقدس)، وآثار الأنبياء، وعرصة المحشر، (وهي أرض القدس)...».

وقال الهمداني في تعليل تسمية بلاد العرب «الجزيرة» (ص57): «وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة؛ لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها[5]، وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر؛ وذلك أن الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر بناحية قنّسرين[6] ثم انحط على الجزيرة[7]، وسواد العراق[8]، حتى دفع في

---

(1) فسطاط مصر: أول عاصمة إسلامية لمصر، وهي التي تسمى: «مصر القديمة»، وهي جزء من مدينة القاهرة. ولم يقل: «القاهرة»؛ لأن القاهرة بنيت عام 358هـ، وقد توفي الهمداني عام 334هـ.

(2) البحرين: المنطقة الشرقية من السعودية، وليست البحرين المعروفة اليوم.

(3) كاظمة: الاسم القديم لناحية «الكويت».

(4) أذنة، وأنطاكية: مدينتان في لواء إسكندرونة، الواقع في حوزة الدولة التركية. وفيهما شاهد على أنّ حدود الشام أو حدود الجزيرة العربية تمتد إلى داخل الجمهورية التركية. وتلفظ «أذنة» اليوم: «أضنة».

(5) أطرار، مفرده «طرر»، وأطرار البلاد: نواحيها وأطرافها. يُقال: هو يحمي أطرار البلاد؛ أي: أطرافها.

(6) قنسرين: اسم عربي عتيق، بمعنى قنّ النسور، وكانت عاصمة جُنْد من أجناد الشام، وهي اليوم موقع أثري، يقع في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة حلب.

(7) الجزيرة هنا: الأرض الواقعة بين دجلة والفرات.

(8) سواد العراق، اسم أُطلق على الأرياف في العراق، وهي السهول الواقعة بين دجلة والفرات. وأطلق عليه اسم «سواد»؛ لشدّة خضرته.

البحر من ناحية البصرة والأُبُلَّة[1]، وامتدّ إلى عبّادان[2]، وأخذ البحر من ذلك الموضع مغرّباً مطيفاً ببلاد العرب متعطفاً عليها، فأتى منها على سفوان[3]، وكاظمة[4]، ونفذ إلى القطيف[5]، وهجر[6]، وأسياف[7] البحرين[8] وقطر، وعُمان، والشحر[9]».

ومال منه عُنُق إلى حضر موت وناحية أَبْيَن، وعدن، ودهلك، واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن، بلاد فَرسَان وحكم والأشعريين، وعكّ، ومضى إلى جُدّة ساحل مكة، و«الجار» ساحل المدينة، وساحل الطور، وخليج أيلة، وساحل راية ـ من أرض مصر ـ حتى بلغ قُلزم مصر، وخالط بلادها، وأقبل النيل من غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلاً معارضاً للبحر معه حتى دفع في بحر مصر والشام (البحر المتوسط)، ثم أقبل ذلك البحر من مصر، حتى بلغ بلاد فلسطين، فمرّ بعسقلان وسواحلها، وأتى على صور[10] ـ ساحل الأردن ـ، وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق[11]، ثم نفذ إلى سواحل حمص ـ الساحل السوري ـ، وسواحل قنسرين والجزيرة، حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطاً على أطراف

---

(1) الأُبُلَّة: بضم الهمزة والباء، وتشديد اللام: بلدة قديمة على شاطئ البصرة، وكانت هي الميناء الوحيد للعراق، ثم تلاشت بعد بناء البصرة في زمن عمر بن الخطاب.

(2) عبّادان: بلدة على الخليج العربي، وهي اليوم في حوزة إيران، وفيها منابع النفط.

(3) سفوان، أو «صفوان»: بلدة بين البصرة والكويت.

(4) كاظمة: بلدة على شاطئ الخليج من شرقي السعودية.

(5) القطيف: بلدة على شاطئ الخليج من شرقي السعودية.

(6) هَجَر: كانت أكبر مدينة في إقليم الأحساء في شرقي السعودية، وهي الهفوف.

(7) أسياف: جمع «سيف» وهو ساحل البحر.

(8) البحرين: كان يطلق على إقليم الأحساء. أما «دولة البحرين»، فكان يطلق عليها اسم: جزيرة «أُوال».

(9) الشحر: بكسر الشين، ساحل حضر موت في اليمن الجنوبي.

(10) صور: بلدة على الساحل اللبناني. وقوله: «ساحل الأردن» باعتبار ما كان حيث كان جُنْد الأردن يضم جزءاً من شرقي الأردن الشمالي، وجزءاً من فلسطين، وكانت عاصمته طبرية، ومدينة صور اللبنانية الميناء البحري له.

(11) قوله: «سواحل دمشق»: قد يُفهم منه أن دمشق تقع على ساحل البحر. ولكن القدماء يضيفون الشيء إلى الأشهر، أو إلى العاصمة. فدمشق بعيدة عن البحر، وقد قال قبل ذلك: إن جُدّة ساحل مكة، ومكة تبعد عن البحر بُعْد دمشق عن البحر. وكذلك «الجار» ساحل المدينة.

قنسرين والجزيرة إلى سواد العراق، فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوا فيها وتوالدوا بها على خمسة أقسام عند العرب، وفي أشعارها (ص57 ـ 58).

• ونقل ياقوت الحموي في معجم البلدان (جزيرة العرب) ما نقلناه عن الهمداني نصاً دون زيادة أو نقص.

• وقال الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه «مصادر الشعر الجاهلي»: وأما جغرافيو العرب، فهم يقصدون ببلاد العرب الجزيرة العربية كلها، ويُدخلون فيها، بادية سيناء، وبلاد الشام جميعها، وجزءاً من العراق.. فيحددها الهمداني بقوله ـ ونقل ما أثبتناه سابقاً ـ، ثم قال: وبلاد العرب في هذا البحث (عنوان الكتاب) هي الجزيرة العربية التي يحدّها من الغرب: البحر الأحمر، ومن الجنوب: البحر العربي، ومن الشرق خليج فارس، وتمتد في الشمال حتى تشمل هذه البقاع التي قامت فيها دولات عربية؛ كالمناذرة في الحيرة، والغساسنة في الشام، ومن قبلهم الأنباط في «بترا» و«تدمر».

• وخلاصة ما كتبنا في تحديد جزيرة العرب أن أقاليم الشام: فلسطين وسورية والأردن ولبنان، تدخل في حيّز الجزيرة العربية، بل يدخل فيها إقليم العراق إلى حدود وادي الرافدين: دجلة والفرات. ويدخل في الجزيرة العربية جزء من بلاد تركيا المجاور لسوريّة، وخصوصاً لواء إسكندرون، وبلاد مصر إلى حدود النيل، بالإضافة إلى الحجاز ونجد واليمن.

• الذين قالوا: إنها شبه جزيرة: هل جاء وصفهم من جهلهم بحقيقة التاريخ، أو جاء وصفهم لهدف عدواني؟ ومَنْ هم القائلون: إن بلاد العرب شبه جزيرة، أو ما المصادر الأولى التي كتبتْ هذا الوصف؟

أُجيب عن هذه الأسئلة بما يلي:

1 ـ شبه الجزيرة في الاصطلاح الجغرافي: الأرض التي تحيط بها المياه من ثلاث جهات فقط، وقد تبيّن لنا من الوصف السابق أن الماء يحيط ببلاد العرب من جهاتها الأربع.. من الشرق والغرب والجنوب والشمال. فالماء يحيط ببلاد العرب من جهة الشمال: من ماء الفرات.

2 ـ لم أجد مصطلح «شبه الجزيرة» في المصادر العربية القديمة، فالأرض إما أن تكون جزيرة، أو لا تكون..

قلتُ: وفي النفس شيء من مصطلح «شبه الجزيرة»، أهو صحيح فصيح يوافق العربية؟.

3 ـ وظهر لي ـ والله أعلم ـ أن مصطلح «شبه الجزيرة» من المصطلحات الجغرافية الحديثة، مترجم عن اللغات الأوربية، كما أن مصطلح «شبه الجزيرة العربية» مصطلح مولّد جديد، منقول عن الكتب الأجنبية؛ ذلك أن الأوربيين هم أول مَنْ مسح جغرافية البلاد العربية، ووضعوا لها الخرائط والمصورات، واختاروا لها الأسماء... وعندما صار للعرب دول، ووزارات تعليم ومدارس وجامعات، وألفوا الكتب الجغرافية والتاريخية، استعملوا المصطلحات التي وضعها الأوربيون في عهد الاستعمار.

• لماذا قالوا: «شبه الجزيرة العربيّة»؟ وما حدودها عندهم؟ وهل وضعوا هذا الاصطلاح جاهلين، أو متجاهلين؟

إن الذين قالوا: إن بلاد العرب شبه جزيرة، هم الأوربيون والأمريكان، ومَنْ قلّدهم وأخذ عنهم من العرب.

ففي المكتبة العربية «الموسوعة العربيّة الميسّرة» وافق الرئيس جمال عبد الناصر على إخراجها سنة 1959م، وأشرف عليها لجنة من العلماء والباحثين العرب، برئاسة محمد شفيق غربال مدير معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، وتعترف اللجنة المشرفة في المقدمة أن 60٪ من معلومات الموسوعة ترجموه عن موسوعة أمريكية اسمها «كولومبيا فايكنج»، وترجمت الموسوعة لـ«شبه جزيرة العرب»، ولم تذكر اسم «جزيرة العرب»، وقالت: تقع بين البحر الأحمر وخليج العقبة غرباً، والخليج العربي وخليج عُمان شرقاً. ولم تذكر جهتي الجنوب والشمال. وإذا سقط الجانب الثالث، فإنها لن تكون «شبه جزيرة» أيضاً.. ومن الثابت أن خليج عدن يحيط ببلاد العرب من جهة الجنوب.

قال المحرر: ويشمل شبه الجزيرة (السعودية، واليمن، والكويت، والإمارات العربية، والبحرين، وعُمان، وقطر، والكويت). وقال في آخر كلامه: «وغيرها»، ولا أدري ما الذي يقصده «بغيرها»؟ لو كان يريد دول الشام والعراق، ذكر بعضها.. ولكنه وقف عند حدود ما يسمى «دول الخليج العربي»، واليمن.

قلتُ: لو أن عبد العزيز بن سعود، شمست خيلُه، وجرت به إلى آخر حدود الأردن والعراق.. هل كان المترجمون يعدونها من شبه الجزيرة العربية، أم يقولون: إن حدودها تقف عند آخر حدود السعودية المحاذية للعراق والأردن؟!

الجواب: إنهم كانوا سوف يقولون: إنَّ هذا الجزء ـ الأردن والعراق ـ لا يدخل في «شبه جزيرة العرب»، والذين يقولون هذا القول قسمان: الأول: يتجاهل الحقيقة الجغرافية التاريخيّة لهدف عدواني، والثاني: جاهل، أو تابعٌ، أو متوهم.

أما القسم الأول: فهم الأوربيون والأمريكان اليهود، أو المتهودون، وذلك ليوافق الأكاذيب اليهودية في وصف الجغرافية التاريخيّة، ولتحقيق الهدف التوراتي الذي بدأ يُطلّ برأسه مع بداية الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي؛ فهم يرون، أو يزعمون أن المملكة اليهودية، أو الأرض المزعومة تقع ما بين الفرات والنيل، وتضم أقاليم: الأردن، وسورية والعراق وفلسطين ولبنان، وجزءاً من بلاد مصر إلى حدود النيل... ولذلك أخرجوا بلاد الشام والعراق من جزيرة العرب، وجعلوا بلاد العرب شبه جزيرة...

وفي هذا السبيل اختلقوا أكاذيب تقول:

إن العرب الكنعانيين القدماء من أصل حاميّ.

وقالوا: إن الفلسطينيين المذكورين في التاريخ جاؤوا من جزر إيجه، فهم غرباء عن فلسطين.

وقالوا: إن الجنس العربي في بلاد الشام وفلسطين جاء في أعقاب الفتح العربي الإسلامي، ولم يكن للعرب وجودٌ من قبلُ.

ومع هذه الأكاذيب ادّعوا وجوداً قديماً لليهود في فلسطين، يسبق الوجود العربي، ووصلوا وجودهم بأيام إبراهيم الخليل..

القسم الثاني: من القائلين بأن بلاد العرب «شبه جزيرة» نحسن الظنَّ فيهم، ونقول: إنهم معذورون؛ لجهلهم، أو لتقليدهم الأعمى لكل ما يأتي من الأوروبيين. إنهم قوم من العرب، ولكنهم لم يقرؤوا تاريخ العرب وجغرافية بلادهم، فتوهموا، فكتبوا، أو نصبوا أنفسهم مؤرخين لبلاد العرب دون أن تكتمل لهم أدوات كتابة التاريخ. . . إنهم قوم جمّاعون محتطبون، يكتبون تاريخ العرب، كما يكتبون تاريخ هولندا، والدانمارك، دون أن يمتزجوا بالتاريخ والأرض، وينفعلوا بهما، وقد يكون ذلك من ضعف الانتماء، أو ضعف الذوق الوطني. .

فمن أين جاء الوهم والجهل إلى هؤلاء المؤرخين العرب؟.

لقد وقعوا في الخطأ لأسباب؛ منها:

الأول: إنهم اعتمدوا في كتاباتهم على المصادر المتأخرة التي كُتبت في القرن العشرين: كُتُب أساتذة الجامعات العربية، أو الكتب الأجنبيّة بلغتها الأصلية أو المترجمة، ولم يرجعوا إلى المصادر العربية القديمة.

وكتبُ الجغرافية والتاريخ ـ التي صدرت في النصف الأول من القرن العشرين ـ تعتمد على المصادر الأجنبية، بل إنَّ أساتذة التاريخ والجغرافية في الجامعات العربية، الذين درَّسوا التاريخ والجغرافيا في الجامعات، كان جلّهم قد تخرج في الجامعات الأوربية، ورجعوا إلى بلادهم وهم يحملون الفكر الاستشراقي.

الثاني: لقد حكم الفرس العراق مُدَّة تزيد على ألف سنة، وحكم الرومان ـ ومن قبلهم اليونان ـ بلاد الشام ومصر حوالي ألف سنة. . وعندما فتح العرب المسلمون بلاد العراق والشام، كانت المعارك الفاصلة مع الفرس والروم: القادسيّة في العراق، وأجنادين، واليرموك في الشام. أما الغزوات النبويّة، فكانت جلها مع العرب، فظن بعض المنتمين إلى العرب: أن بلاد الشام كانت قبل الإسلام روميّة، وأن بلاد العراق كانت فارسيّة، ولذلك صدّقوا ما قاله الأوربيون: إن بلاد العرب شبه جزيرة، فأخرجوا بلاد الشام والعراق من الجزيرة العربية التاريخيّة. .

• ما الحكم والقرار التاريخي الذي ينتج من إثبات أن بلاد العرب جزيرة، وأن بلاد الشام، وبلاد العراق من جزيرة العرب؟

الحكم القاطع الذي لا يقبل النقض: أنَّ بلاد الشام بعامّة، وفلسطين بخاصة، من بلاد العرب، وأنّ سكانها وأهلها وعُمَّارها هم العرب منذ فجر التاريخ إلى اليوم، وأن بلاد الشام لم تتعرب ولم تصبح عربية بعد الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي، وإنما كانت عربيّة السكان قبل ميلاد المسيح..

• والشهادات والشواهد على ذلك كثيرة، ننقل منها ـ هنا ـ ما يؤكد هذا الحكم:

• عنونَ ظفر الإسلام خان، في كتابه «تاريخ فلسطين القديم» العنوان التالي: هل عرب اليوم ـ القرن العشرين ـ دخلوا مع الفتح الإسلامي؟

وننقل بعض ما أجاب به عن هذا السؤال.

«إنَّ هناك مغالطة عملية، انهمك المؤرخون الصليبيون واليهود في ترويجها زوراً وبهتاناً، وخصوصاً فيما يتعلق ببلاد الهلال الخصيب (العراق وسوريا وفلسطين)، وهي أن العرب الذين يسكنون هذه البلاد اليوم، إنما هم أخلاف المسلمين الذين خرجوا من (الجزيرة العربية)[1] عقب المدّ الإسلامي. ولقيَ هذا البهتان اهتماماً خاصاً لدى مؤرخي اليهود الذين أرادوا أن يثبتوا أن عرب اليوم ليسوا إلا سكاناً جُدداً حلّوا محل اليهود والروم في تلك البلاد. ولكن المصادر الرسمية اليهودية تكذب هذه المزاعم؛ حيث تقول دائرة المعارف اليهوديّة العامة: «فلسطين أصبحت بلاداً عربية، ليس بسبب الفتح (المحمدي) فقط، ولكن لأن العرب كانوا قد أتوا إلى البلاد مهاجرين منذ قرون مضت، فمنهم البدو، ومنهم جاليات المحاربين

(1) استعمل المؤلف مصطلح «الجزيرة العربية»، وهو الصحيح، ولكن ما زال يرى كغيره من المؤلفين: أن الجزيرة العربية قاصرة على دول الخليج واليمن. ومع أنه يريد أن يثبت عروبة بلاد الشام قبل الإسلام وقبل المسيحيّة، فإنه لا يدخلها في جزيرة العرب، وصحيح التعبير أن يذكر الأقاليم التي جاؤوا منها، فيقول: خرجوا من الحجاز ونجد واليمن..

المجرّبين، والتجار. وكانت مسيحيتهم بالأصح هرطوقية (غير مستقيمة) غير عميقة بصورة كافية، ولذلك استبدلوها بسهولة بالإسلام»[1].

فالحقيقة الواضحة هي أن سكان فلسطين هم العرب منذ أقدم عصور التاريخ[2]، وسوف يأتي ذلك في سياق إثبات عروبة بلاد الشام، وسوف نرى أن الأكثرية ليست عربية فحسب، بل إن العرب قد حكموا البلاد - بوصفهم عرباً - قبل الإسلام بثمانية قرون؛ أي: قبل الميلاد، ومنذ ذلك الوقت ظلوا عاملاً أساسياً في السياسات الفلسطينية في صورة الأنباط، والإيدوميين، والتدمريين، ولاشك أن قادمين جُدداً (من الحجاز ونجد واليمن) وضعوا رحالهم في فلسطين بعد الفتح الإسلامي، شأنهم في ذلك شأن أي شعب فاتح[3]، ولكن لا يمكن إنكار أن الهجرة العربية إلى فلسطين[4] كانت قبل ظهور الإسلام بوقت طويل، وإن ازدادت بعده.

---

(1) نقلت النصّ دون تغيير، وهو ترجمة بلغة عربية ضعيفة، وأنبّه إلى خطأ شائع، وهو قوله: «استبدلوها بالإسلام»، والصحيح أن يُقال: «استبدلوه بالمسيحية»، أو استبدلوا الإسلام بالمسيحية؛ لأن الباء في هذا الأسلوب تلتصق بالمتروك، وهم تركوا المسيحية وأخذوا الإسلام. قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61]، والذي هو خير في الآية، هو المتروك. والله وأعلم.

(2) سيأتي أن الجنس العربي أقدم من اسمه، وأن الكنعانيين من العرب.

(3) أفضل أن يقال: شأنهم في ذلك شأن أي شعب كانت أرضه محتلة ثم تم تحريرها.

(4) قوله: «الهجرة العربية إلى فلسطين» تعبير غير دقيق في إثبات عروبة فلسطين الأزلية؛ لأن العبارة توحي بأن الهجرة العربية هي التي عرّبت فلسطين، وأن المهاجرين هاجروا إلى بلد غير عربي، وأفضل أن يُقال: إن انتقال القبائل العربية إلى فلسطين، فهي تنتقل من أرض عربية إلى أرض عربية، تجاور شعوباً عربية كانت متجذرة في زمن بعيد.. إذا انتقلت أسرة من بيت إلى بيت في القرية، لا يقال: إن الأسرة قد هاجرت، وإذا انتقلت أسرة أو قبيلة من غزة إلى حيفا، لا يُقال: هاجرت. وإذا انتقلت أسرة من دمشق إلى الرياض، أو صنعاء.. يُقال: انتقلت، ولا يقال للقبائل العربية التي كانت تنتقل من مكان إلى آخر بحثاً عن المرعى، لا يُقال: هاجرت؛ لأنها تنتقل من مكان إلى آخر، داخل جزيرة العرب، وهي البيت الكبير للعرب بعامة.

ويبلور جفريز[1] هذه النقطة فيقول: لكن القادمين الجدد الذين تدفقوا على هذه البلاد آنذاك، انصهروا مع سكانها الأقدمين، لدرجة أن عرب اليوم في فلسطين لا يمثلون مجرد جنس فاتح، ولكنهم سلائل تلك الشعوب (العربية) التي عاشت في فلسطين، قبل زمن موسى، إننا نسميهم عرباً، لكنك لا بُدَّ أن تجد في خضم بحر جنسهم العظيم الذي يمتد من الإسكندرونة إلى مكة وما بعدها كثيراً من الأعراق، وأن جذورهم في هذه الأرض هي تلك الجذور التي نشأ منها التاريخ في حدّ ذاته.

وما من شك أنها مفاجأة كبيرة بالنسبة إلى القارئ المتوسط أن يعلم أن العرب أسبق الأمم في سورية، وأن الجهل بهذه الحقيقة ـ الجهل الشائع لدينا ـ هو سندٌ تعتمد عليه الدعاية الصهيونية السياسية.

ويبلور المؤرخ الأمريكي «تشارلز مثيوز» هذه النقطة بوضوح أكثر، فيقول: «وحيث إن بعض الناس المخلصين يؤمنون أحياناً ويعبرون عن فكرة تقول: «إنَّ العرب مجرد طفيليين في فلسطين، وإنه ينبغي لهم أن يُفسحوا المجال لـ «عودة»[2] اليهود أصحاب الحق الملاك الحقيقيين لأرض التوراة[3]، فيمكن أن تُقال كلمة أخرى عن الأصول السلالية للبلاد ـ فلسطين ـ: إن الواقع البسيط هو أن الشعب العربي في فلسطين ليس سليل أولئك القادمين الجدد الذين اقتحموا مع الفتح الإسلامي العربي في القرن السابع الميلادي.

إن أغلبية السكان المحليين سواءٌ أكانوا من العرب المسيحيين أم من العرب المسلمين هي من جنس مختلط[4] ترجع صلته بالأرض بعيداً إلى تاريخ قديم جداً، إن هناك نزعة لتبسيط التاريخ، وذلك بالفكرة القائلة: إن جميع مسلمي الأقطار المفتوحة جاؤوا من الخارج، وانتحلوا السلطة، وإنه لتصوّر لا يمكن لمعظم السكان المسلمين أن يفهموه، وهو القول: إن أسلافهم كانوا من الجنس الفاتح.

---

(1) جفريز: مؤلف كتاب «فلسطين: إليكم الحقيقة».

(2) ينقل المؤلف قول اليهود، وقول مَنْ يؤيدونهم من المسيحيين التوراتيين، والظاهر أنه لا يؤمن بأقوال هؤلاء، وإنما هو ينقله ليردّه.

(3) أرض التوراة في زعمهم من النيل إلى الفرات.

(4) قد يوحي كلامه بأن الجذور البعيدة لعرب فلسطين مختلطة بجنس غير عربي، ولكن يقرر بأنهم ذوو جذور قديمة غير مهاجرة إلى فلسطين، ونحن نرى أن هذه الجذور هي جذور عربية نسميها «الكنعانيين».

ولا شكَّ في أن عدداً كبيراً من العرب الحقيقيين، من عرب الجزيرة العربية قد استوطنوا في الأرض الجديدة، وتوجد شهادات على مثل هذا الاستيطان في التواريخ العامة والمحلية للشعوب الإسلامية، صاحبة العقلية التاريخيّة. . ولكن الفاتحين والمستوطنين الذين جاؤوا وراء الانتصارات العسكرية والإدارة السياسية لم يكونوا إلا أقلية صغيرة بالمقارنة مع جماهير السكان التاريخيين المتصلبين في الوجود، وقد تقبلت الأكثرية اسم «العرب»[1] تدريجياً، مع قبول الجميع للدين الجديد واللغة العربية، ولذلك فإن عرب فلسطين اليوم هم الشعب التاريخي للأرض، وكانت البلاد دائماً بلادهم.

وملخص ما نقلنا، شهادة نطق بها الغرباء عن العرب وعن فلسطين، تقول: إن فلسطين والشام ـ قبل الفتح الإسلامي ـ كانت عامرة بالسكان العرب، وإن فلسطين لم تُعرّب بسبب الفتح العربي الإسلامي.

واقرأ الفقرة التالية:

ومن الشواهد على انتشار العرب والعروبة في بلاد الشام، قبل الإسلام ـ وأمثلة هذا الباب لا تحصى ـ ولكنني أذكر منها ما يشهد للحال.

• الشواهد من الشعر العربي الجاهلي:

قال الشاعر الأعشى:

وطوّفتُ للمال آفاقَهُ عُمانَ فحمصَ فأُوري شلم[2]

---

(1) قوله: «وقد تقبلت الأكثرية اسم العرب». . قد يُفهم منه أن السكان السابقين في بلاد الشام لم يكونوا من العرب: والحقيقة التاريخية تقول: لقد كان في بلاد الشام قبل الإسلام ثلاثة أصناف: الروم، والآراميّون والسريان الناطقون باللغة السريانية، والعرب الناطقون باللغة العربية القرآنية. أما الروم: فقد كانوا في صفة جند يسكنون في قلاع. وقد هزموا ورحلوا بعد الفتح. وأما الآراميون والسريان، فهم من الجنس العربيّ، ولغتهم لغة عربية عتيقة، وهؤلاء هم الذين اتخذوا العربية القرآنية لساناً؛ لأنها من فصيلة لهجتهم، يستوي في ذلك مَنْ أسلم، أو مَنْ بقي على نصرانيته. وأما العرب الناطقون باللسان العربي المبين، فقد كانوا كثرة كاثرة، وخصوصاً في جنوب فلسطين وجنوب سورية، وشرقي الأردن برمته.

(2) أوري شلم: لهجة في «أورشليم» التي هي القدس. واسم أورشليم: اسم عربي عتيق، جاء باللهجة العربية الكنعانية، ومعناه «أرض السلام» يأمن فيه الإنسان؛ لانصرافه إلى عبادة ربه. وقد سرق اليهود اسم أورشليم، وأودعوه ما يسمى «اللغة العبرية»، وهي في حقيقتها لغة ملفقة من لهجات عربية عتيقة ـ آرامية، وكنعانية ـ هجرها العرب، بعد استقرارهم على اللهجة العربية الأخيرة، لغة القرآن.

. . والمعروف أن الأعشى شاعر مدّاحة يطلب المال، وإذا لم يكن الممدوح ذوّاقة للشعر، عربياً صميماً، فإنه لا يستجيب لنداء الأعشى. وقد ذكر في بيته بلدين من بلاد الشام: حمص، وأورشليم (القدس)، والبلد في المفهوم القديم تعني: إقليماً واسعاً، . . وذكر الشاعرُ «حمص»، وهي في وسط سورية.

وذكر أورشليم، وأراد: فلسطين وشرقي الأردن؛ لأنها من مشتملات ديار بيت المقدس.

ومن الشواهد أيضاً: قصة حسان بن ثابت، الذي كان يفد إلى ملوك الغساسنة بالشام، فيمدحهم وينال أعطياتهم. وقد رُوي عن حسان بن ثابت أنه قال: قدمتُ على عمرو بن الحارث ـ أحد ملوك غسان في الشام ـ فاعتاص الوصول إليه، فقلت للحاجب بعد مدّة: إن أذنت لي عليه، وإلا هجوتُ اليمن[1] كلها، ثم انقلبتُ عنكم. فأذن لي، فدخلت عليه، فوجدت عنده النابغة الذبياني[2]، وهو جالس عن يمينه، وعلقَمَة بن عَبَدَة[3] وهو جالس عن يساره، فقال لي: يا بن الفريعة![4] قد عرفت عيصك ونسبك في غسان، فارجع فإني باعث إليك بصلة سنيّة، ولا أحتاج إلى الشعر؛ فإني أخاف عليك هذين السَّبُعَيْن: النابغة، وعلقمة[5] أن يفضحاك، وفضيحتك فضيحتي، وأنت والله لا تحسن أن تقول (وأنشد أبياتاً للنابغة)[6]. قال حسان: فأبيتُ، وقلت: لا بُدَّ منه، فقال: ذاك إلى عمّيْك (النابغة وعلقمة)، فقلت لهما: بحق الملك إلا قدمتماني عليكما، فقالا: قد فعلنا، فقال عمرو بن الحارث: هات يا بن الفُريعة، فأنشأت.

فأنشد قصيدته اللامية التي مطلعها:

---

(1) اليمن: يريد: أهل اليمن. وفيه شاهد على أن الغساسنة ملوك الشام قبل الإسلام كانوا من اليمن.

(2) النابغة الذبياني: شاعر جاهلي، مدح ملوك المناذرة في العراق، ثم كانت جفوة، فلجأ إلى الغساسنة في الشام، وهو من شعراء المعلقات.

(3) علقمة بن عَبَدة الفحل، توفي حوالي (20 ق. هـ)، وهو شاعر من الطبقة الأولى.

(4) ابن الفُريعة: كنية لحسان بن ثابت. والفُريعة: أمه.

(5) يخشى أن يقصر عنهما في قول الشعر.

(6) وفيها شاهد على أن الملك كان يتذوق الشعر، كما يتذوقه أهل الحجاز ونجد واليمن.

أســألْتَ رسْــم الــدار أم لــم تســأَلِ بــين الجوابــي، فــالبُضَيع فحَوْمَــلِ

. . وقد ذكر الشاعر في القصيدة عدداً من أعلام الأماكن في ديار الشام، ومنها: «الجوابي»، وهي جابية الجولان. والبُضيع: موضع كان بالقرب من الصنمين في حوران. وذكر «جلّق»، وهي دمشق. وذكر «بردى» نهر دمشق.

وفي قصيدة نونيّة، يمدح فيها جبلة بن الأيهم، أولها:

لمــن الــدارُ أوحشــتْ بمعــانِ بــين أعلــى الــيرموك فالخمّــان

فذكر فيها من معالم الشام: معان، وهي في شرقي الأردن، و«القريات» في شمال السعودية، وهي من الشام، و«بلاس»، و«داريا» في جوار دمشق، و«جاسم»، وهي في حوران، قرية أبي تمام، و«أودية الصفّر» بجوار دمشق، و«حارث الجولان» بجوار قرية الصنمين في حوران. .

فالشاعر حسان خبير بالمواطن التي كان الغساسنة يحلون بها في ديار الشام.

بل يذكر الشاعر في القصيدة النونية أعياد النصارى التي كان يحتفل بها الغساسنة في الجاهلية، فقال:

قد دنا الفصحُ فالولائدُ ينظمْنَ سِــــراعاً أَكلَّــــةَ المرجــــان

. . وفي مطلع قصيدته الهمزية يذكر بلدة «عدرا» المجاورة لدمشق؛ لأنها كانت من منازل بني جفنة ملوك غسان، قال:

عفــتْ ذاتُ الأصــابع فــالجواءُ إلــى عــذراءَ منزلُــها خــلاءُ

3 ـ روى ابن هشام في السيرة عن ابن اسحاق قال: وبعث فروةُ بن عمرو الجُذامي إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه. . وكان فروةُ عاملاً للروم على مَنْ يليهم من العرب، وكان منزله «معان» وما حولها من أرض الشام، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه، طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه عندهم، ثم صلبوه على ماءٍ لهم يقال له: «عفرا» بفلسطين، ولما قدموه ليقتلوه قال:

بلّــغْ ســراةَ المســلمين بــأنني سَــلْمٌ لربــي أعظُمــي ومقــامي

. . وقيل: إن الروم سلطوا عليه الحارث (السادس أو السابع) ابن أبي شَمِر الغساني ـ ملك غسان ـ، فاعتقله وصلبه بفلسطين.

• في ترجمة الغساسنة، وملوك الغساسنة بالشام: أنهم كانوا موجودين في الشام قبل ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ، ومن ملوكهم المذكورين في التاريخ: عمرو ابن جَفْنة، قُدِّر وقت وجوده في أوائل القرن الثاني للميلاد، وقالوا في ترجمته: إنه أول مَنْ لبس التاج من ملوك غسان في الشام[1]، وقاتل الروم في أرض البلقاء ـ شرقي الأردن ـ، وهزمهم[2]، ثم التقى بهم في مرج الظباء يوم حليمة، فتكاثروا عليه، فصالحهم على أن يؤدي للقيصر ديناراً عن كل واحد من رعاياه، جزية، فكانت الجباية بدمشق، وعاد فثار على الروم، فصالحه قيصر على أن يكون للأزد مُلْك بادية الشام استقلالاً، واستمر نحو خمسة عشر عاماً، [عن/ الأعلام، للزركلي].

وفي ترجمة «الحارث بن جبلة» أنه توفي سنة (570م = 55 قبل الهجرة) أشهر أمراء بني جفنة في بادية الشام، وأعظمهم شأناً، وكان عاملاً للرومان، ورقاه الإمبراطور إلى رتبة ملك، وبسط سلطته على قبائل عربية كثيرة، للوقوف بها أمام غارات اللخميين ـ في العراق، عمال الفرس في الحيرة وبادية العراق، ويظهر أنه كان عظيم الهيبة حتى إن أهل البلاط الروماني كانوا فيما بَعْدُ يخيفون الإمبراطور (يوستينوس)، (وكان مخبولاً عربيداً) بقولهم: تعقل أو ندعو لك الحارث بن جبلة، فيهدأ.

وكتب «المنجدُ» يقول: «الغساسنة أو آل جفنة: سلالة عربية يمنية الأصل، هجرت بلادها عند انفجار سدّ مأرب، واستوطنت بلاد حوران وشرقي الأردن، وفينيقيا اللبنانية، وفلسطين الثانية والثالثة، قبل الإسلام، واعتنقوا المسيحية في نهاية القرن الثالث. عملوا في الجيش البيزنطي، وعُهد إليهم حماية الحدود السورية. أشهر ملوكهم الحارث بن جبلة (529 ـ 569م) انتصر على المنذر بن ماء السماء اللخمي في

---

(1) قوله: أول مَنْ لبس التاج: يعني أن ملوكاً وأمراء قبله لم يلبسوا التاج، ولم يعترف الروم بملكيتهم. ويرجح أن ظهور الغساسنة في الشام، كان قبل ميلاد المسيح، وقبل الاحتلال الروماني لبلاد الشام.

(2) وقتاله الروم في أرض البلقاء ـ شرقي الأردن ـ شاهد على قوته ونفوذه وكثرة جنوده من العرب.

يوم حليمة. والمنذر بن الحارث (569 ـ 581م) حارب اللخميين، وأحرق الحيرة عاصمتهم، نفاه البيزنطيون إلى صقلية. والنعمان بن المنذر حوالي (595م) حاول الانتقام لأبيه، فأسر ومات سجيناً».

• ولم يكن الغساسنة أول ملوك الشام من العرب، فقد ذكر المؤرخون ملوك الضجاعمة قبل الغساسنة. قال ابن دريد في كتاب «الاشتقاق»: والضجاعم كانوا ملوكاً بالشام قبل غسان، ولهم حديث (انظر: «المحبر» لابن حبيب)، قال: والضجعم من الضجعمة، وهي الشدّة والصلابة. وقال ابن حزم في «الجمهرة»: ضجعم بن سعد بن سليح بن حلوان، كانوا ملوكاً بالشأم، قبل غسان «وهم الضجاعمة».

وكتب الدباغ في كتاب «القبائل العربية وسلائلها في فلسطين» تحت عنوان «قُضاعة من حِميَر، نُسبوا إلى أبيهم قُضاعة ـ ومعناه: فَهدٌ ـ، وهو الجدّ الأعلى لجميع بطون قضاعة التي نزلت فلسطين، وكان زعماؤها مقيمين في اليمن».

. . وفي عهد قضاعة بن مالك نزل جماعة الشام، فكانوا أول من استقر في هذا القطر. . وتنصرت قُضاعة، وانضافت إلى الروم الذين أخذوا يستعملونها على البادية الشامية، والراجح أن ذلك كان في القرن الأول للميلاد[1]، ففي عهد الإمبراطور «طيطس 79 ـ 81م» نودي على ضجعم أحد زعماء قضاعة ملكاً عليها، فكان المؤسس الأول للدولة التي حملت اسم «الضجاعمة»، وفي عهْد هذه الدولة انتشرت قضاعة في المناطق الواقعة بين جبل الشيخ، وجبال فلسطين، والبلقاء والغور، ثم ما لبثت أن امتلكت ما بين الشام والحجاز والعراق، وفي العقبة وجبال الكرك.

وبقي الملك في الضجاعمة إلى أن غلبهم أبناء عمهم «الغساسنة»، وحكموا محلهم. .

---

(1) هذا التاريخ هو بداية «المُلْك»، أما الوجود البشري، فهو أقدم من ذلك؛ لأن الملك مرحلة متأخرة يسبقها إثبات الوجود والنفوذ الاجتماعي.

• وفي كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري ـ تحت عنوان: أمر جُند قنسرين والمدن التي تدعى العواصم ـ جاء ما يلي: سار أبو عبيدة بن الجراح بعد فراغه من أرض اليرموك إلى حمص. . ثم أتى إلى قنسرين، فقاتله أهل مدينة قنسرين، ثم لجؤوا إلى حصنهم، وطلبوا الصلح، فصالحهم أبو عبيدة، وغلب المسلمون على أرضها وقراها، وكان حاضر قنّسرين لتنوخ مُذ أول ما تنخوا بالشام ـ نزلوه وهم في خيم الشعر ـ، ثم ابتنوا به المنازل، فدعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام، فأسلم بعضهم، وأقام على النصرانية بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. .

وروى البلاذري عن عبد الرحمن بن غنم قال: «رابطنا مدينة قنسرين مع شرحبيل بن السمط، فلما فتحها، أصاب فيها بقراً وغنماً. . وكان حاضر طيِّئ قديماً، نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم، حين نزل الجبلين ـ أجأ وسلمى ـ مَنْ نزل منهم، وتفرق باقوهم في البلاد، فلما ورد أبو عبيدة عليهم، أسلم بعضهم، وصالح كثير منهم على الجزية، ثم أسلموا بعد ذلك إلا مَنْ شذّ عن جماعتهم.

قال البلاذري: وكان بقرب مدينة حلب حاضر تُدعى حاضر حلب يجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية، ثم إنهم أسلموا بعد ذلك، فكانوا مقيمين وأعقابهم به إلى بُعيد وفاة أمير المؤمنين الرشيد[1].

• جاء في ترجمة «بني كلب» من قضاعة: كانت لكلب دومة الجندل وتبوك[2]، ودخلوا في دين النصرانية. وجاء الإسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون ـ من بني كلب ـ، وكانت تدمر عاصمة كلب ومقر قيادتهم، وفي وقت ما هاجر بنو كلب إلى الغور.

---

(1) الشاهد في الفقرة السابقة: أن العرب لم يكونوا موجودين في الشام قبل الفتح العربي في بقعة واحدة، ولم يكونوا موجودين في جنوب الشام؛ لقربه من البادية فقط، وإنما كانوا موجودين في جميع بقاع الشام. فالمكان المذكور في هذه الفقرة، يقع في أقصى شمال سورية، بالقرب من الحدود التركية، وتتحدث الفقرة عن عرب مضى على وجودهم زمن طويل قبل الفتح، وصارت لهم حواضر ومدن، ودخلوا في دين النصرانية قبل الفتح الإسلامي.

(2) دومة الجندل وتبوك يعدهما الجغرافيون العرب من بلاد الشام، وقد أخرجا اليوم لدخولهما في حدود البلاد السعودية.

قال الدباغ: ومنهم: «بنو بكر»، كانوا مع جموع الروم في فلسطين مع غيرهم من «بهراء» و«لخم» و«جذام» و«وائل» و«القين» ضد المسلمين في معركة مؤتة. وفي هذا الخبر شاهد على أن هذه القبائل، كانت قديمة في ديار الشام.

• والقبائل التي استقرت في فلسطين ومشارفها قبل الإسلام كثيرة، نذكر منها: «ثمود» و«سَليح» و«جُذام» و«عاملة» المنسوب إليها جبل عامل في لبنان، و«لخم»، وكان غسان وجذام وكلب ولخم وغيرهم قد استجلبهم هرقل لما سمع أن المسلمين فتحوا فلسطين والأردن، وصاروا إلى الثنية (درعا)، ومن لخم وفْد تميم الداري الذين وفدوا على رسول الله، وأسلموا، وأقطعهم أرض الخليل. و«القين» بن صَبْر، وبنو كلب، و«جرم بن ربّان»، و«ذبيان»، و«بنو عذرة»، و«بنو ضبّة»، وبنو بهراء.

وسوف نعود إلى ذكرهم عندما نذكر سلائلهم الباقية في فلسطين.

• قال أحمد عادل كمال في كتابه «الطريق إلى دمشق» (ص 31): أما سورية والأردن وفلسطين، فإن ظهور دول الأنباط ثم تدمر ثم الغساسنة، يفيد أن العنصر العربي هو الذي ساد تلك البقاع وعمَّرها بالعنصر البشري، وقد انتشرت المسيحيّة بينهم.

. . ويؤيد انتشار العنصر العربي على أغلب أرجاء الشام: الأخبار المتنوعة عن تلك الحقبة.

من ذلك أن رسول الله ﷺ بعث الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام. بعث إلى الحارث بن أبي شمر الغساني الذي وصفه الرواة بأنه صاحب دمشق، ولا شكَّ أنه كان عربياً، وكانت «جلّق» بغوطة دمشق إلى الجنوب منها أحد منازل الغساسنة العرب.

وقد أغار خالد بن الوليد على بني غسان بمرج راهط بغوطة دمشق.

وفي «المنجد» أن حوران سكنها الغساسنة قبل الإسلام.

ولقد كانت قبائل قريش في رحلة الصيف إلى الشام تتاجر مع غزة، على ما روى أبو سفيان، ولا نحسبه كان يتجه إلى غزة إلا للاتجار مع العناصر العربية بها. .

وقال: بل إن الأخبار تذهب إلى ظهور الإسلام في بعض ربوع الشام على عهد رسول الله، بما بسط له النفوذ على تلك الربوع.

وقال: ـ وهو خطأ فاضح ـ: أسلم أهل تبالة، وجُرَش»[1].

قال: بل إنَّ التاريخ الأقدم من ذلك بكثير تمتلئ صفحاته بما يعني انتشار العنصر العربي على رقعة أرض الشام، ففي عام (64 قبل الميلاد) جعل بومبي الحاكم الروماني «أنطاكية» عاصمة لسورية، وسمح للملوك العرب بالبقاء، على أن تقتصر سلطتهم على ممتلكاتهم الأصلية، وأن يدفعوا جزية سنوية، واحتفظ ملك الأنباط بدمشق مقابل مبلغ ضخم من المال.

وفي أخبار الحملة الثانية التي جرّدها «كراسوس» في ربيع عام (53)، خانه حليفه العربي «أبجر» ملك «أديسا»، وتمزق جيشه في الصحراء السورية على بُعْد ثلاثين ميلاً من «حرّان».

وجملة القول: إن العرب سكنوا نواحي الشام مع استيطان سلالات الفينيقيين على الساحل اللبناني[2].. بالإضافة إلى العنصر الذي وفد بدافع الغزو، ونعني به «الروم» البيزنطيين الذين لم يشكلوا نسبة لها وزنها من تعداد السكان، بل لقد كانوا أقلية، وإن كانت لهم الغلبة بقوة البطش والسلاح».

---

(1) قلتْ: خطأ فادح وفاضح؛ لأنه عدَّ ـ «تبالة، وجُرشَ» ـ، من بلاد الشام، وجاءَه الوهم من اسم «جُرش» حيث يُشبه اسم «جَرش» في الديار الأردنية. بفتح الجيم. أما جُرش المذكورة، فهي بضم الجيم، وهي بالقرب من مدينة أبها في السعودية. و«تبالة» أيضاً بلدة في جنوب السعودية. فانظر كيف يقع المؤرخون في الأوهام؛ لاعتمادهم على الشكل، دون المضمون!

(2) توّهم الكاتب أن «الفينيقيين ليسوا من العرب»، وهذا كان لجهله بفروع الجنس العربي. وقد قرر المؤرخون أن الفينيقيين فرع من الكنعانيين، واتفق المؤرخون أن الكنعانيين من الجنس العربي العتيق، كما سيأتي بيان ذلك في فقرة خاصة. والله أعلم.